صورة العربيّ في الأدب الإسرائيليّ

حطب لإسرائيل الملتهبة طمعاً

. محمد توفيق الصوّاف* .

مقدمة في تحديد المصطلح

في المؤلَّفات القليلة التي نُشرتْ باللغة العربيّة حول نتاج عددٍ من أدباء إسرائيل والمتعاطفين معها ومع الصهيونيّة من أدباء العالم، يلاحظ الباحثُ تداخلاً شديدًا بين المصطلحات لتوصيف ذلك النتاج: فتارة هو «أدب يهوديّ،» وتارة «أدب صهيونيّ،» وتارة ثالثة «أدب عبريّ،» وتارة رابعة «أدب إسرائيليّ.» وهذا خطأ محض؛ ذلك أنّ لكلّ منها دلالتَه الخاصةَ على نتاج أدبيّ محدّد. ولذا سأحاول تقديم تعريف موجز بكلّ منها.

لعلّ أهم ما يميّز مصطلح «أدب يهوديّ» أنّه مصطلح شموليّ وعامّ جداً. فهو يَشْمل خليطًا شديدَ التنوُّع لأجزاء من الآداب العالميّة، لا يَرْبط بين مكوِّناته سوى انتماءِ مؤلِّفيها إلى اليهوديّة، ولو عن غير اقتناع أو إيمان. ولعلّ ممّا يزيد القناعةَ بصوابيّة هذا التوصيف للأدب اليهوديّ وضوحُ المؤثّرات غير اليهوديّة في شكل هذا الأدب ومضمونه ولغته، بسبب تأثّر مؤلّفيه بآداب الأمم والشعوب التي عاشوا بين أبنائها.

ومثلُ هذا التعريف يَنْطبق، إلى حدٍّ كبير، على مصطلح «أدب صهيونيّ» الذي يَفْتقر، كسابقه، إلى المحدِّدَيْن الجغرافيّ واللغويّ. كما يماثله أيضًا في عدم الدلالة على شكل أدبيّ معيّن ولا على محتوًى أدبيّ معيّن أو لغة مؤلّفه أو جنسيّته، بل تَقْتصر دلالتُه على اتّجاهه الإيديولوجيّ واتّجاه مؤلّفيه ـ بغضّ النظر عمّا إذا كانوا يهودًا أو غيرَ يهود، عربًا أو غيرَ عرب، من غير اليهود المتعاطفين مع الصهيونيّة أو من الملتزمين بها إيديولوجياً.

أمّا مصطلح «أدب عبريّ،» فيتميّز عن سابقَيْه بدلالته على لغة النتاجات الأدبيّة المنتمية إليه. وبعبارة أخرى يدلّ هذا المصطلح على أنّ اللُّغة العبريّة وحدَها هي القاسم المشترك بين هذه النتاجات، على اختلاف جنسيّات مؤلِّفيها وأماكنِ إقامتهم وأديانِهم وانتماءاتِهم. ومن الضروريّ التنبهُ إلى أنّ هذا المصطلح يَنْقسم، دلاليّاً، إلى قسميْن متمايزيْن: فهناك أدب عبريّ قديم دينيّ في معظمه. وهناك أدب عبريّ حديث، يعرِّفه الناقدُ الإسرائيليُّ يوسف كلاوزنر بأنّه «أدب علمانيّ، هدفُه تثقيفُ الشعب اليهوديّ. ولعلّ هذا ما دَفَعَ مؤلِّفيه إلى محاولة جعله مشابهًا، من حيث الشكل والمضمون، لأدب سائر الشعوب الأوروبيّة.»(١) ويتّفق كلاوزنر مع ناقد إسرائيليّ آخر هو ف. لاحوفر(٢) على أنّ بداية ظهور الأدب العبريّ الحديث هي نهاية القرن الثامن عشر.

وأمّا مصطلح «أدب إسرائيليّ» فالمقصود به ذلك النتاجُ الأدبيُّ الذي كُتب في إسرائيل، سواء نُشر داخلها أو خارجها، شريطةَ أن تكون مشاكلُ بنيتها المجتمعيّة الاستيطانيّة هي المحورَ الرئيسَ لمضمون هذا النتاج، بغضّ النظر عن موقف مؤلِّفيه تجاه هذه المشاكل، وبغضّ النظر أيضًا عمّا إذا كانوا مناصرين لسياسة إسرائيل أو كانوا ضدّها، وسواء ألّفوا ما ألّفوه باللغة العبريّة الحديثة التي كُتب بها معظمُ هذا الأدب أو بغيرها من اللغات الأخرى المستخدمة في إسرائيل (كما هو الحال بالنسبة لكتابات الروائيّة ياعيل دايان التي تَكْتب بالإنكليزيّة أدبًا ينتمي إلى الواقع الإسرائيليّ من منظور صهيونيّ). وهذا التعريفُ الموسَّع شَجَّعَ

---

* ـ باحث وإعلاميّ سوريّ. متخصّص في السياسة والأدب الإسرائيليّيْن.

١ ـ يوسف كلاوزنر، **تاريخ الأدب العبريّ الحديث** (تل أبيب: أحي آساف، ١٩٦٠، ج ١)، ص ٦.

٢ ـ ف. لاحوفر، **تاريخ الأدب العبريّ الحديث** (تل أبيب: دبير، ١٩٦٦)، ص ١ ـ ١٤.

بعضَ النقاد الإسرائيليّين على أن يُدخلوا بين مشتملاته نتاجاتِ الأدباء العرب الموجودين تحت الاحتلال الإسرائيليّ منذ عام ١٩٤٨، مُطْلقين على هذه النتاجات توصيف «أدب إسرائيليّ ـ عربيّ،» وهي تسمية استَهْجنها معظمُ النقّاد العرب، فاستعاضوا عنها بعبارة «أدب الوطن المحتلّ،» أو «أدب الداخل الفلسطينيّ،» تمييزًا لها من نتاجات الأدباء الفلسطينيين الموجودين في المنافي.

الصورة النمطيّة عن الآخر

إنّ صورة الآخر في أيّ مجتمع، أسلبيّةً كانت أم إيجابيّة، لا تُولَدُ مع أفراد هذا المجتمع، بل تتكوّن تدريجيّاً بتأثير عوامل كثيرة. بعضُ هذه العوامل تَصْنعه الموروثات الدينيّة المتأصّلة عن هذا الآخر في مجتمع ما؛ وبعضُها تصنعه القيم التربويّة والأخلاقيّة السائدة في هذا المجتمع، والتي لمعظمها صلةٌ ما بتلك الموروثات؛ وبعضُها تصنعه التيّارات الفكريّة الوافدة إليه من الخارج خلال حقبة ما؛ وهناك عوامل تصنعها العلاقات السياسيّة السائدة بين الأمم عمومًا. لكنْ أيّاً كان مصدرُ هذه العوامل، فمن المهمّ جدّاً أن ننتبه إلى أنّها عرضةٌ للتغيير المستمرّ. وتبعًا لذلك تتغيّر أيضًا ملامحُ الصورة المعطاة للآخر، إمّا إيجابيّاً نحو الأفضل، وإمّا سلبيّاً نحو الأسوإ إذا كانت التغييرات قصديّةً خَطّط لها مهندسو الفكر والسياسة في مجتمعٍ.

ونظرًا لأنّ هذه التغييرات القصديّة هي التي تقوم بالدور الأكبر في تكوين ملامح «الصورة النمطيّة» للآخر، وخصوصًا في حالات الصراع، على خلفيّة اعتباره الطرفَ المعاديَ؛ ونظرًا لأنّ صورة العربيّ في أدب الإسرائيليّين هي صورة نمطيّة ـ كما سنلاحظ تاليًا ـ ساهمتْ في تكوينها حالةُ صراعه مع الإسرائيليّ الذي اغتصب أرضَه، فإنّه يصبح من الضروريّ الإطلالة على أهم العوامل التي ساهمتْ في تشكيل تلك الملامح.

يشير مصطلح «الصورة النمطيّة» Stereotype، إلى تلك الصياغات المُبالَغ في سلبيّتها لبعض سمات الخلقة أو المميّزات الثقافيّة والفكريّة والسلوكيّة التي تُلصقها جماعةٌ ما بأفراد جماعة أخرى، إمّا جهلاً، وإمّا بسبب حالة صراع ناشب بين الجماعتين. وهو ما يعني أنّ ملامح الفرد في مثل هذه الصورة هي إفرازاتٌ ملفَّقة ضدّه، تُسْهم في توليد الكراهية له والتعصُّب العنصريّ ضدّه، على نحوٍ يَخْدم استمرارَ الحرب والعدوان عليه.

في الحالة الإسرائيليّة التي نحن بصددها لا يُمْكن القول إنّ الصورة النمطيّة للعربيّ في تصوُّرات الإسرائيليّين وأدبهم كانت وليدةَ جهلهم بصاحبها: ذلك أنّ العربيّ يعيش معهم وبينهم، على أرضه التي احتلُّوها، ومازال يصارعهم منذ أكثر من نصف قرن. ومن هنا كانت تلك الصورة صورة نمطيّة ملفّقة عن سابق قصد وتصميم. لذا يبدو صحيحًا ما أومأ إليه الناقد نسيم رجوان حين يقول: «إنّ الشروع في استخلاص أيّ شيء يُشْبه صورةً صادقةً للعرب في أعمال روائيّة أُنْتجتْ من قبل أدباء إسرائيل هو جرأةٌ ومغامرةٌ مستحيلةٌ تقريبًا.»(١)

أبرز العوامل المكوِّنة لصورة العربيّ في الأدب الإسرائيليّ

أولاً، انغلاق الشخصيّة اليهوديّة على ذاتها وبيئتها، وما تركه هذا الانغلاقُ المزمنُ من تأثير كبير في تكوين موقفها تجاه الآخر غير اليهوديّ عمومًا. وهو موقف ساهم في تغذيته مصدران: دينيّ

١ ـ Nissim Rejwan, **The Jerusalem Post Magazine**, February 11, 1983, p. 12.

وإيديولوجيّ، كلاهما يكرِّس رؤيةً ذاتَ طابع عنصريّ للذات وللآخر. فدينيّاً، اعتقد كثير من اليهود، ومازالوا، بأنّهم شعبُ الله المختار، وأنّ سائر شعوب العالم أدنى منهم في سلَّم الحظوة الإلهيّة. ثم ما لبثتْ أن اتسعت الساحةُ الدلاليّةُ لهذا الاعتقاد، حتى صارت نظرتُهم الدونيّة إلى الآخر تَشْمله في مختلف ميادين الحياة. ثم ظَهرت الإيديولوجيا الصهيونيّة لتكرِّس، رغم ادّعائها الانتماءَ إلى العلمانيّة، مفهومَ الانتخاب الإلهيّ /التوراتيّ لليهود، لتَبْني عليه زعمَها باختلافهم عرقيّاً عن سائر البشر، وبتفوُّقهم المطلق عليهم في كلّ شيء. ومن خلال تطابق الدينيّ مع الإيديولوجيّ، تمّ تكوينُ موقف الإسرائيليِّين العنصريّ تجاه الآخر، فصار الإسرائيليُّون «سجناءَ الجيتو بكلّ رموزه وأفكاره المغلقة وأساطيره وطقوسه اللازمنيّة حول انفصال اليهوديّ الخالص عن الاغيار.»[1]

ثانيًا، العلاقةُ الصراعيّةُ بين العرب واليهود على أرض فلسطين. ونظرًا لأنّ هذه العلاقة غير مرشَّحة للتحوُّل إلى علاقة تعايش سلميّ، فإنّها ستظلّ مصدرًا دائمًا لتكوين صورة الآخر السلبيّة في أدب الطرفيْن. وهو ما أشار إليه البروفسور الإسرائيليّ شموئيل موريه.[2] لكنّ موريه وأمثالَه عمدوا إلى توزيع المسؤوليّة في تشكيل هذه الصورة على كلا الطرفيْن، دون تمييز بين المعتدي والمعتدى عليه، ليتسنّى لهم الهربُ من الاعتراف بأنّ الإسرائيليِّين هم الطرفُ المعتدي.

ثالثًا، خصوصيّة الدور الوظيفيّ لإسرائيل في خدمة مصالح القوى الاستعماريّة الكبرى. ولأنّ الاستمرار في أداء هذا الدور يتطلَّب بقاءَ الإسرائيليِّين في موقف المعادي للعرب، لكون هذا الدور يَعني نهبًا مستمرّاً لثرواتهم وعائقًا دون توحّدهم، فإنّ حالة الصراع العربيّ ـ الإسرائيليّ هي حالة مرشَّحة للاستمرار أيضًا، مع كلّ مترافقاتها، التي من بين أهمّها الإبقاءُ على الصورة المشوَّهة للعربيّ في تصورات الإسرائيليِّين وأدبهم.

هذه العوامل وغيرُها ساهمت في تكوين عدد من الملامح البالغة السلبيّة لصورة الإنسان العربيّ في الأدب الإسرائيليّ.

ولعلَّ من أبرز ما ساهم في رسوخ هذه الملامح في أذهان الإسرائيليِّين تكرارُها الدائمُ في وسائل إعلامهم المختلفة، وعلى صفحاتِ ما يقرأونه في نتاجات أدبائهم ابتداءً من مرحلة الطفولة، على نحوٍ ما أكّد الدكتور حزاي بوروش إذ قال: «إنّ شخصيّة العربيّ في كتب التدريس والأدب الإسرائيليّة لم تتغيَّرْ ملامحُها السلبيّةُ حتى بعد بدء عمليّة السلام... الأمرُ الذي ساهم في شحن نفسيّة الأطفال الإسرائيليِّين بكراهية العرب، وبكراهية العمليّة السلميّة وكلّ ما يمتّ إليها بصلة لأنّها تعني ـ في إحدى نتائجها المحتملة ـ إمكانيّةَ التعايش على نحوٍ ما مع العرب دون حروب وصراعات.» وأَوْضح بوروش كيفيّةَ القيام بعمليّة الشحن العدوانيّ العنصريّ هذه قائلاً: «إنّها تتمّ أحيانًا بواسطة النصوص الأدبيّة ذات المضامين العنصريّة المباشرة، وأحيانًا بواسطة تحليل هذه النصوص المبثوثة في الكتب المدرسيّة، أو بواسطة تحليل الرسوم والصور المرافقة لها، والتي تصوِّر العربَ في سياقات حياتيّة عديدة تتّصل بمظهرهم وعملهم وسكنهم،

---

١ ـ د. عبد الوهاب المسيري، **الإيديولوجيّة الصهيونيّة** (الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، القسم الثاني، ١٩٨٣)، ص ١٦٠.

٢ ـ شموئيل موريه، «شخصيّة الإسرائيليّ في الأدب العربيّ منذ قيام الدولة،» بحث ضمن كتاب **الصراع العربيّ ـ الإسرائيليّ في مرآة الأدب العربيّ** (القدس. مؤسسة فان لير، ١٩٧٥)، ص ٢٥ (بالعِبْريّة ـ ترجمة خاصة).

كما تتصل بعاداتهم الأُسَريّة وعقائدهم وما إلى ذلك...»[1]

أدّت عمليّةُ التشويه العنصريّ المتعمَّد هذه إلى تغذية النفسيّة الإسرائيليّة بمشاعر الاحتقار للعرب والحقد عليهم. وهو ما اعترف به الروائيّ الإسرائيليّ عاموس عوز حين قال: «العربيّ في الأدب الإسرائيليّ يُعدّ هزيلاً، وشخصيّةً نمطيّةً دائمًا، وهو يُعدّ أيضًا شخصيّةً نكنّ لها الاحتقار والترفُّع والاتهام، وقدرًا ملحوظًا من الحقد الخفيّ.» ثم يضيف شاملاً بكلماته هذه مجموعَ الكتاب الإسرائيليّين: «كلُّنا عمومًا.»[2]

ملامح العربيّ في الأدب الإسرائيليّ

يُجمل سميح القاسم معظمَ الملامح التي تتشكّل من مجموعها صورةُ العربيّ النمطيّة في الأدب الإسرائيليّ، بقوله: «رجل أشعث ـ حادّ النظرات ـ غدّار، يُخفي في ثيابه خنجرًا رهيبًا لا تكاد تدير ظهركَ حتى ينقضّ عليكَ بطعنة نجلاء ـ متخلّف ـ قاسٍ ـ همجيّ ـ هوايتُه القتل ـ ساديّ ـ قاتل أطفال ـ جبان ـ رعديد ـ كذّاب ـ منافق ـ قذر ـ فظّ ـ ساخط ـ لئيم ـ حقود... الخ.»[3]

يقود الاستقراءُ المتأنّي لهذه الملامح إلى إمكانيّة تصنيفها في أربع مجموعات رئيسة: الأولى تختصّ بتوصيف المظهر الخارجيّ لشخصيّة العربيّ النمطيّة في الأدب الإسرائيليّ، والثانية بتوصيف جانبها العقليّ، والثالثة بتوصيف جانبها الحضاريّ، والرابعة بتوصيف جانبيْها النفسيّ والسلوكيّ.

أ ـ المظهر الخارجيّ للعربيّ في الأدب الإسرائيليّ. يَطْلع العربيّ علينا في الكثير من نصوص الأدب الإسرائيليّ بـ «وجهه الذي يَقْطر كراهيةً، والذي لا بدّ أن يكون فيه شاربٌ كثّ، وندبٌ من جرح، أو عَوَرٌ في إحدى عينيه.»[4] ويعترف كوهين بأنّ ملامح الوجه القبيح هذه تتكرّر في نحو ٨٠٪ من قصص الأطفال الإسرائيليّة التي أُتيحتْ له مطالعتُها. ومن أشهر تلك القصص قصة «الجواسيس الشباب في عمليّة سيناء،» لمؤلّفها حازي لابين الذي يصف الحارسَ المصريَّ في لقائه الأول

عاموس عوز

شموئيل عجنون

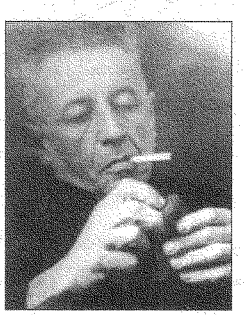

ناتان الترْمان

١ ـ بحث نشره بوروش عام ١٩٩٧، في مجلة **اللغات الأجنبيّة**.

٢ ـ شولاميت هارايفين، «هل العربيّ في أدبنا شخصيّة نمطيّة أم إنسان؟» **معريف**، ١٩٧٩/٤/٢٠، ص ٣٧ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٣ ـ سميح القاسم، **أضواء على الفكر الصهيونيّ** (بيروت: دار القدس، ١٩٧٨)، ص ١٥٥.

٤ ـ أدير كوهين، «كيف يصوِّرون العربيّ في قصص الأطفال الإسرائيليّة،» صحيفة **الاتحاد** الحيفاويّة، ١٩٧٦/٧/٩.

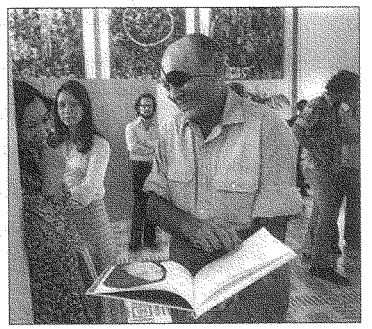

ن. شيمر مع موشه دايان

س. يزهار

مع الطفل الإسرائيليّ إيلي بقوله: «ما أبشع هذا المصريّ بشاربه الأسود الكثيف، وعينيْه القاسيتَيْن اللتَيْن كان يَنْظر بهما نحوه كما تَنْظر القطةُ إلى الفأر المعلَّق بين مخالبها. ثم سأله: ما اسمُكَ؟ ورأى إيلي أسنانَ ذئبٍ مفترسٍ تتبدّى من تحت شاربه الأسود.»

وتشبيهُ العربيّ بالذئب يتكرر في قصص كثيرة أخرى، من أشهرها قصةُ «داني دين في مهمة مستحيلة،» لمؤلفها أوين شريج، وهي واحدةٌ من سلسلة قصص الأطفال المعروفة باسم **عوز يعوز** التي تُعدّ الأوسعَ انتشارًا في إسرائيل. ففي هذه القصة يصف لنا شريج العربيَّ على لسان بطلها داني دين بقوله: «هو ذئب ابن ذئب،» ثم يضيف سلسلةً من الأوصاف السلبيّة الأخرى التي لم تتردّد الناقدةُ الإسرائيليّةُ تمار ماروز في اعتبارها شتائمَ أكثرَ منها أوصافًا.[1] ومن تلك الأوصاف: «وقحون ـ حمير ـ باذنجان ـ جراد ـ شوك ـ خنازير.»

هذه بعض الملامح الخَلقيّة لصورة العربيّ في القصص الموجّهة إلى أطفال إسرائيل، والتي لا تكاد تختلف كثيرًا عن ملامحه في الأعمال الأدبيّة الموجّهة إلى كبارها. فمثلاً يَطْلع العربيُّ علينا في قصة «رحمة» لمؤلّفها حاييم هزاز مخلوقًا «قصير القامة، حاجباه أسودان كثيفان، لحيتُه كثّة، ووجهُه كقِدْر من النحاس.» أما سيملانسكي يزهار فيقدِّم لنا أسيرَه العربيّ، في قصته «الأسير،» على النحو المنفِّر التالي: «رَجُلٌ ضئيل في ثوب أصفر باهت، نعلاه مهترئتان كلحم قدميْه الشبيهتيْن بالأظلاف،» وله «شارب يتدلّى حول زاويتيْ فمه، وأنفٌ قبيح، وشفتان رقيقتان منفرجتان.»[2] وأما شموئيل يوسف عجنون، الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ مناصفةً مع الأديبة اليهوديّة الألمانيّة نيلي زاكس، فيقدِّم لنا العربَ، لا كمنفِّرين في خلقتهم فحسب بل في جلستهم أيضًا التي تُشْبه «جلسةَ الكلاب.»[3] ومثلَه فعلتْ نعمي شيمر في قصيدةٍ أصدرتْها أثناء الغزو الإسرائيليّ للبنان عام ١٩٨٢، وسعت من خلالها إلى تبرئة الإسرائيليِّين من جريمة مذبحة صبرا وشاتيلا بإلقاء

١ ـ تمار ماروز، «العنصريّة في أدب الأطفال الإسرائيليّ،» ملحق صحيفة **هآرتس**، ١٩٧٤/٩/٢٠ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٢ ـ س. يزهار، «الأسير» من كتاب **الحائزون على جائزة إسرائيل ـ مختارت قصصيّة**، عرض وتقديم هيلل برزيل (إسرائيل: منشورات دار يحداف للثقافة والتربية والنشر، ١٩٧٠)، ص ١٨١ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٣ ـ شموئيل يوسف عجنون، **أمس الأول** (القدس وتل أبيب: منشورات شوكن، ١٩٦٨)، (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

التهمة على الكتائبيّين اللبنانيّين وحدهم، مشبِّهةً الجلاّدين فيها والضحايا ـ وجميعُهم من العرب ـ بالكلاب، وذلك في عبارتها «كلاب تقتل كلابًا،» التي نَسَبَتْها إلى رئيس وزراء إسرائيل آنذاك، مناحيم بيغن.[1]

وليست صورةُ المرأة العربيّة في القصة الصهيونيّة أحسنَ حالاً، إذ نراها في رواية **خربة خزعة** مثلاً: «قذرة، قبيحة، شبه بلهاء، وبكاؤها لا يدعو إلى الشفقة بل إلى الغثيان والسخرية.»[2] وفي روايات أخرى لا تصوِّر لنا إلا كوسيط جنسيّ. يتّضح لنا هذا من طريقة تفكير بطل قصة «رحمة» العربيّ بالمرأة، ومن تكراره السخيف الذي وضعه مؤلِّفُها هزاز على لسانه وهو يتحدّث مع بطلها اليهوديّ قائلاً له: «هل لديكَ امرأة؟ أليس لديك امرأة؟ خذْ لك امرأة!» وفي النهاية يُنْطقه هزاز بهذه الحكمة البلهاء: «أطيبُ ما في العالم كلِّه حمارٌ جيِّد وامرأةٌ جيِّدة.» وهكذا يَقْرن الكاتبُ المرأةَ العربيّةَ في نظر العربيّ بالحمار، في إشارة منه إلى حقارتها من جهة، وإلى كونها مجرَّد مطيّةٍ جنسيّة من جهة أخرى. وتَظْهر المرأة كوسيط جنسيّ أيضًا في رواية **المتشرِّد والأفعى** لعاموس عوز، والتي يقدِّم فيها الإنسانَ العربيَّ في صورة الطرف الدميم القذر الذي يمثل الجانبَ الغريزيَّ من الحياة.

وإذا انتقلنا إلى شكل الملابس التي يرتديها العربيُّ النمطيُّ، وجدنا أنّ الكتّاب الإسرائيليّين قد عمدوا إلى إظهاره في ملابس أرادوها منسجمةً في قبحها وقذارتها مع قبح وجهه وجسمه وقذارة ما نسبوه إليه من طبائع وخصال نفسيّةً وسلوكيّة. كما أرادوها دالةً على تخلُّفه العقليّ والحضاريّ والاجتماعيّ. فمثلاً، نرى العربيّ يَطْلع علينا، في كثير من نصوص الأدب الإسرائيليّ، وهو «يرتدي الشروالَ والكوفيَّةَ والعقالَ والعباءةَ،» التي يَعدّها الأدباءُ الإسرائيليُّون من أبرز الدلائل على عدم معاصرته، كما يَذْكر الدكتور أدير كوهين في مقالته الآنفة الذكر. وحين يريد الأدباءُ الإسرائيليُّون أن يَخْلقوا نوعًا من الانسجام بين قبح ملابس العربيّ وقبح وجهه وجسمه وطباعه السلوكيّة، نراهم يُلبسونه الأسمالَ البالية، على نحو ما فعل هزاز بالبطل العربيّ في قصته «رحمة.»

والقذارة لا تَظْهر على ملابس العربيّ فقط، بل على وجهه أيضًا، كما يزعم عجنون في روايته **أمس الأول**، التي يصف بطلُها العربَ بقوله: «الذباب والبعوض يَظْهر ويَحُوم حول العمص الأخضر في عيون العرب.» كما تَظْهر القذارة في مأكل العربيّ ومشربه ومسكنه ومكان عمله. ولكي يُقْنعنا هزاز بصحّة هذه الفرية، في قصته «رحمة،» يرينا بطلَها العربيّ وهو يُدخل «يدَه إلى جوف سلّة كانت أمامه ويُخْرج منها عدةَ بيضات قذرة.»

وثمة مَنْ حاولوا المطابقةَ، في سياق نص أدبيّ واحد، بين قبح ملابس العربيّ ورثاثتها، وقبح وجهه وجسمه وطباعه السلوكيّة. ومن أوائل هؤلاء الأديب الإسرائيليّ برينر، الذي قدّم لنا العربيَّ في أحد مؤلَّفاته على النحو التالي: «يرتدي جلبابًا ممزَّقًا، وغطاءً قذرًا للرأس... أما أطفالُه فيسيرون حفاةً. وليس من مجال للخطإ في تحديد هويته؛ فكلّ شيء يتعلّق به ـ أماديّاً كان أم معنويّاً ـ يَنْطق بصفاته. إنّه ليس قذرًا فحسب، بل هو لصّ وكذوب وكسول وعدوانيّ أيضًا.»

---

١ ـ نعمي شيمر، قصيدة «أكاذيب وافتراءات،» ملحق صحيفة **يديعوت احرونوت**، ١٩٨٢/٩/٢٣.

٢ ـ صدرت الترجمة العربيّة، التي قام بها توفيق فيّاض لهذه الرواية، عام ١٩٨١، عن دار الكلمة للنشر، بيروت.

ب ـ السمات العقليّة وتجلّياتها الفكريّة والحضاريّة. ليس هزاز وحده مَنْ حاول وصمَ الإنسان العربيّ بالتخلُّف العقليّ، وما يلازم هذا من حتميّة تخلّفه فكريّاً وحضاريّاً أيضًا. بل شاركه في تلفيق هذا الافتراء عدد كبير من الأدباء الإسرائيليِّين. ولعلّ من الجدير بالإشارة أنّ هؤلاء قد شملوا بهذه السمة المفتراة كلَّ عربيّ، فردًا عاديّاً أو رجلَ دين أو قائدًا عسكريًا أو حاكمًا أيضًا. ولإيهام قرّائهم بصحة هذه الفرية اصطنعوا مشاهدَ تحكي أحداثًا مفتعلةً، يَظْهر العربيُّ في سياقها مخلوقًا غبيّاً مضطربَ التفكير، سيِّئَ التصرف والسلوك.

ففي قصة «الأسير» لسيملانسكي يزهار، يطالعنا العربيُّ في صورة مخلوق أبله ممسوح العقل تمامًا، إلى درجة أنّه ـ وهو في أسوإ محنة بين أيدي جنود الاحتلال وتحت رحمة ضربهم وسخريتهم وتحقيرهم له ـ لا يستطيع التفكيرَ بأيّ شيءٍ أبعد من الحصول على سيجارة! وسيملانسكي هذا نفسُه يَسْخر في روايته **خربة خزعة** من سذاجة سكّان القرية العرب وما يسمّيه «ذكاءهم العسكريّ،» حين أرادوا تعطيلَ زحف جنود الاحتلال على قريتهم بحَفْرِ قناة صغيرة على عرض الطريق! وأما شموئيل يوسف عجنون، فيَبْلغ قمةَ التعبير عن الاستخفاف بالعقل العربيّ في روايته الطويلة جدّاً **مدينة بما فيها**، التي يَزْعم في أحد فصولها أنّ يهوديّاً دخل خطأً إلى مكان عبادة للإسماعيليِّين (وهو يعني العربَ جميعًا بهذا الوصف) فإذا بهم يَغْضبون ويحيطون به ليقتلوه. إلاّ أنّه سرعان ما يحتال عليهم، ويُقْنعهم بأنّه إنّما دَخَلَ مكانَ عبادتهم ليتعرّف دينَهم ويؤْمنَ به، وهكذا يمتنعون عن قتله. ثم يواظب بعد ذلك، ولهدفٍ ماكرٍ، على حضور دروسهم الدينيّة، التي يعيها بسرعة مذهلة. وهكذا «لم تمضِ أيّام كثيرة حتى وجد له مكانًا بينهم، ثم جعلوه واحدًا من أئمتهم [!][1] وبالطبع لم يَقْصد عجنون أن يقول لنا إنّ ذلك اليهوديّ قد غَيَّرَ دينَه فعلاً، بل قَصَدَ إلى بيان مقدار ما يتمتّع به اليهوديُّ من قدرات ذكائيّة مَكَّنته بسهولة بالغة من التغلُّب على أعدائه العرب الأغبياء.

ولعلَّ من الواضح أنّ هدف عجنون، وكلِّ مَنْ حذا حذوَه من الأدباء الإسرائيليِّين، من مقارنتهم بين «اليهوديّ الذكيّ» و«العربيّ الغبيّ» هو الإيحاءُ لقارئهم اليهوديّ خاصةً باحتقار خصمه العربيّ والاستهانة به، وتضخيمِ إيمانه هو ـ في الوقت ذاته ـ بتفوُّقه العنصريّ المطلق على ذلك الخصم الغبيّ. واقتناعُ القارئ اليهوديّ بهذه الأفكار ليس مجانيّاً، بل هو موظَّفٌ سَلَفًا في خدمة الأهداف العليا لإسرائيل، إذ يُسهِّل على هذا القارئ ـ فيما إذا صار محاربًا ـ أن يَنْدفع في حربه ضدّ عدوِّه العربيّ بنفسيّة طاووسيّة لا تُقِيم لذلك العربيّ أيَّ وزن أو اعتبار، ولا تَخْشى من جانبه أيَّ مكر أو دهاء.

ومن اللافت للانتباه في هذا المجال أنّه حتى عملاء إسرائيل من العرب لم تَشْفَعْ لهم خيانتُهم لبني قومهم في نفي وصمة الغباء عنهم. وهذا ما نلاحظه في حديث شيمر، ضمن قصيدتها «أكاذيب وافتراءات،» عن حلفاء إسرائيل من اللبنانيِّين الذين تُلْقي عليهم وحدَهم مسؤوليّةَ تنفيذ مذبحة صبرا وشاتيلا المروِّعة، والذين تعنيهم قَبْل غيرهم بعبارة «ذوي العقول المغلقة» التي كرَّرتها غيرَ مرّة. ذلك أنّهم، في نظرها، يظلُّون عربًا كضحاياهم، حتى وإنْ قبلوا التحالفَ مع إسرائيل. وهكذا فإنّ القصور العقليّ، بالإضافة إلى الذبح والقتل والغدر وغيرها من الصفات الذميمة، هي من صفات العرب الدّالة عليهم، والتي لا يمكن أن يشاركهم الإسرائيليُّون فيها، على نحوِ

---

١ ـ شموئيل يوسف عجنون، **مدينة بما فيها** (القدس وتل أبيب: إصدارات شوكن ،١٩٧٣)، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

ما تؤكّد في مطلع قصيدتها تلك، قائلةً:
«أكاذيب وافتراءات / فهذه ليست عاداتنا / إنّها عاداتهم / إنّها تقاليدهم / هكذا هم دائمًا / هذه المذابح تَحْكي بوضوح / أنّنا شعبٌ أصيل / شعبٌ عريق له قيمٌ وأخلاق.» ولا يعني هذا أنّ شيمر تريد تشبية الإسرائيليّين بالحملان الوديعة، بل أرادت أن تقول إنّ قتل الضحايا عن طريق الذبح دليلٌ على وحشيّةِ القاتل وتدنّيه في سُلّم التطوُّر «الحضاريّ» للقتل. وما ذلك إلاّ لأنّ القاتل عربيّ «لم يتعلّم» الدرسَ جيّدًا من أستاذه الإسرائيليّ، الذي بلغ تطوُّرُه «الحضاريُّ» في مجال القتل حدَّ تنفيذ مذابح الإبادة الجماعيّة بحقّ آلاف العرب دون أن يلوِّث يديْه بدم أحدهم، وذلك لاستخدامه أرقى آلات القتل والتدمير، بينما ظلّ تلاميذُه العربُ الأغبياء مصرِّين على استخدام أدوات القتل البدائيّة في صبرا وشاتيلا. وهذا ما تؤكّده شيمر في قصيدتها «حلفاؤنا الكتائبيُّون» الذي تصف فيه غباءَ حلفاء إسرائيل من العرب بقولها، غاضبةً:

لم يتعلّموا شيئًا / فعقولُهم مغلقةٌ تمامًا / لو أنّهم كانوا تلاميذَ مجتهدين / يُتْقنون الدرسَ / لكانوا نَصَبوا مدافعَهم / على مداخل المخيَّمات / وأَمْطروها بالقنابل / بالقذائف، بالحديد الملتهب! / لو أنّهم تلاميذُ مجتهدون / لكانوا صَوَّبوا مدافعَهم / ومَسَحوا المنازلَ مع سكّانها / لو أنّهم تلاميذ مجتهدون / لكانوا استخدموا الدبابة / من مسافة قريبة / ودَمَّروا البيوتَ والشوارع / ولم يتركوا أحدًا... / وبهذا يكونون قد حافظوا على طهارة السلاح.»[1]

هكذا تُعرِّف شيمر طهارةَ السلاح: إنّها لا تَعْدو أن تكون طهارةَ **أداة الجريمة** من دم الضحيّة، معتبرةً أنّ نجاح المجرم في تنفيذ القتل بهذا الأسلوب دليلٌ على الذكاء!

ج ـ السمات الحضاريّة. لأنّه يستحيل على الغبيّ المتخلّف عقليّاً أن يَمْتلك تفكيرًا صائبًا يؤهّله لطلب العلم وتحصيل الثقافة، كما يستحيل على مَنْ لا علم لديه ولا ثقافة أن يَصْنع حضارة، فإنّه لا بدّ من قتال هذا المخلوق وقتله إذا أَصرَّ على وحشيَّته وعداوته للحضارة والمتحضِّرين. وهؤلاء يتمثّلون في الأدب الإسرائيليّ باليهود الذين هاجروا إلى فلسطين، لإحياء حضارتهم التي خَرَّبَ العربُ معالمَها.

على هذه الأرضيّة من المزاعم الملفَّقة التي يفضي كلُّ واحد منها إلى الآخر، في إطار منظومة منطقيّة مصطنعة تمّ بناؤها على تصديق الزعم الأول القائل بتخلف العربيّ عقليّاً، سَوَّغَ الأدباءُ الإسرائيليُّون كلَّ جرائم بني جلدتهم بحقّ العرب. وأبدأُ من عجنون، الذي وصف العرب بأنّهم الأعداء الحقيقيُّون للحضارة والمدنيّة. ففي قصته «تهلا،»[2] كما في روايته **أمس الأول**، يشتطّ عجنون في افترائه على العرب إلى حدّ الزعم بأنّهم كانوا سببَ خراب أرض فلسطين ومعالم الحضارة التي تركها اليهودُ فيها قبلَ رحيلهم القسريّ عنها منذ آلاف السنين. فقد حَوّلوا، بدافعٍ من عدائهم الفطريّ للحضارة والعلم، مراكزَ الإشعاع اليهوديّ الدينيّة والثقافيّة إلى بيوت لهم واصطبلات لحميرهم، على نحو ما جاء على لسان بطلة تلك الرواية: «البيوت التي كانت فيها الصلاةُ ودراسةُ التوراة وإعطاءُ الحسنات لا تتوقف، أصبحتْ ملْكًا للعرب واصطبلاتٍ لحميرهم.» ثم يمضي عجنون في قصته «من عدوّ لحبيب» شوطًا أبعد، فيقول على لسان بطل قصته الذي شَيَّدَ لنفسه بيتًا في فلسطين: «وقفتُ أمام بيتي فرأيتُ أنّ

١ ـ نعمي شيمر، «حلفاؤنا الكتائبيّون،» ملحق **معريف**، ١٩٨٢/٩/٢٣.

٢ ـ شموئيل يوسف عجنون، **تهلا ـ السنوات الطيبة** (القدس وتل أبيب: إصدرات شوكن، ١٩٧٠)، ص ١٤.

الأرض كلّها قفراء، لا شجرةَ ولا بستان، ليس سوى الحجارة والتراب.»[1]

كما حاول الشاعر ناتان الترمان في قصيدته الطويلة «رجال الهجرة الثانية»[2] أن يصوغ شعرًا معظمَ أطروحات الإيديولوجيا الصهيونيّة ـ وأولاها زعمُه بأنّ أرض فلسطين كانت قبل وصول المهاجرين اليهود إليها قفارًا ليس فيها من علائم الحياة سوى تلك المساحات من الشوك التي جَدَّ مهاجروه في اقتلاعها. وهنا نجد أنّ العرب، بدلاً من أن يَبْتهجوا بوصول بُناة الحضارة هؤلاء، يتحوّلون إلى لصوص يَقْتلون اليهودَ لسرقة محاصيلهم، ومتوحّشين يحاولون تدميرَ منجزاتهم الحضاريّة الأخرى، الأمرُ الذي يَدْفع مهاجريه ـ في النهاية ـ إلى الاشتباك معهم! وبهذا، يسوِّغ الترمان كلَّ ما ارتكبتْه العصاباتُ الصهيونيّةُ من جرائم وفظائع بحقّ العرب.

ورغم كلّ ما يقال عن اعتدال أديب مثل عاموس عوز في نظرته إلى العرب، نجده لا يبتعد عَمَّنْ سبق ذِكْرُهم من أدباء إسرائيل. ويتجلّى ذلك في سياق روايته **في مكان آخر، ربما** التي يقول في أحد مقاطعها:

«لمدة ألف عام، ظلّ هذا المكانُ قفرًا، إلى أن جاء مستوطنونا الأوائل ونَصَبوا خيامَهم، فجعلوا الصحراءَ تُزْهر بأحدث الوسائل الزراعيّة. بالطبع كان هنالك فلاحون عرب قلائل قبل مجيئنا، ولكنَّهم كانوا فقراء وبدائيّين... وهؤلاء لم يتبقَّ منهم أثرٌ عدا خرائب متناثرة... هرب سكّانُها إلى الجبال، ومن هناك أخذوا يُلْقون علينا كراهيتَهم التي لا تَسْتند إلى أساس، وتَفْتقد كلَّ معنى. لم نسبِّب لهم ضررًا. جئنا بالمحاريث فردّوا على تحيّتنا بالسيوف. ولكنَّ سيوفهم ارتدّتْ عليهم.»[3]

د ـ الملامح النفسيّة والسلوكيّة.

ويمضي الأديب الإسرائيليّ إلى تشويه الجوانب النفسيّة والسلوكيّة لشخصيّة العربيّ، حتى صار الإسرائيليُّون «إذا أرادوا وصفَ عمل سيِّئ قالوا عنه إنّه 'عمل عربيّ'! وإذا أراد أحدُهم أن يصوِّر جبانًا قال 'إنّه يتصرف مثل عربيّ'!» كما يورد الدكتور أدير كوهين في مقاله الذي سبق ذكره. أما بالنسبة إلى الحسنات، فليس للعربيّ منها، كما يضيف كوهين، «إلاّ إنقاذُ حياة عائلة يهوديّة أو خيانةُ إخوته عندما يشي إلى أفراد مستوطنة يهوديّة بأنّ العرب سيعتدون عليها.» بل إنّ العربيّ الصالح، في رأي أفنير كرميلي، هو العربيّ الميّت أو العربيّ الذي انصهر في الشعب اليهوديّ، كما يؤكد في قصته «الرياضيُّون الصغار يعودون.»[4]

وعلى هذا، يُمْكن القول إنّ الصورة النفسيّة للعربيّ في الأدب الإسرائيليّ لا تزيد، على حدّ توصيف تمار ماروز، «عن كونها خليطًا هجينًا من الثقافات العنصريّة، يَفْتقر حتى إلى التماسك الذي تتميَّز به ثقافةٌ عنصريّةٌ واحدة.»[5] ويأتي في مقدِّمة مكوِّنات هذا الخليط:

---

١ ـ شموئيل يوسف عجنون، قصة «من عدوّ لحبيب،» منشورة ضمن السلسلة التعليميّة **إيلف مليم** (تل أبيب: إصدار أحي آساف، ١٩٧٤، الجزء الثالث)، ص ٩٤ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٢ ـ ناتان الترمان، قصيدة «رجال الهجرة الثانية،» منشورة ضمن السلسلة أعلاه: ج ٣، ص ٤٩ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٣ ـ عاموس عوز، **في مكان آخر، ربما**، مجلة **الأقلام** العراقيّة، حزيران ١٩٧٩، ص ١٠١، ترجمة وتقديم: غالب هلسا.

٤ ـ تمار ماروز، «العنصريّة في أدب الأطفال الإسرائيليّ،» مرجع سبق ذكره.

٥ ـ المصدر السابق.

الجبن والذلّ. فلا عجب انْ رأينا هذا الإنسان «يُطْلق ساقيه للريح ما إنْ يشمّ رائحةَ الخطر، ويبيع في سبيل نجاته أرضَه وعرضَه وأهلَه،» كما يقدِّمه لنا سميلانسكي يزهار في روايته **خربة خزعة**. بل إنّ شدّة جبن العرب تثير أحدَ جنود الاحتلال فيقول معبِّرًا بلسان جميع أفراد مجموعته: «قربة كبيرة كهذه، ولا يوجد فيها حتى ثلاثة أشخاص، يكونون هكذا، رجالاً! إنّهم ما إنْ يَرَوا اليهودَ حتى يتغوَّطوا في سراويلهم.»

قد لا نحتاج إلى براهين كثيرة لنؤكّد أنّ الهدف من تصوير العربيّ على هذا النحو هو إفراغ المقاومة العربيّة في فلسطين، إبّان احتلالها عام ١٩٤٨، من كلّ بطولات أهلها، الأمرُ الذي يجعلهم هم المسؤولين عن ضياع تلك الأرض منهم. إنّ الكاتب الإسرائيليّ يسعى هنا إلى تبرئة العصابات الصهيونيّة، ومن ثم إسرائيل وقادتها وحماتها، من مسؤوليّة تشريد شعب فلسطين، ليلقي التبعةَ كلَّها على كاهل «العربيّ الجبان» الذي «فرّ» تاركًا أرضَه لليهود. وبذلك لا يكون قد وَصَمَ العربيَّ بالجُبْن فقط، وإنّما نفى عنه أيَّ إحساس وطنيّ أيضًا.

بل نجد مؤلِّفي الأدب الإسرائيليّ يَجْنحون إلى هذرٍ من المبالغات الخياليّة في تصوير جبن العرب. من ذلك، مثلاً، تلك الصورةُ المضحكة والمملّة لكثرة تكرارها على صفحات ذلك الأدب، والتي يَظْهر العربُ فيها أعدادًا لا حصر لها تواجه قلةً من اليهود: ومع ذلك فإنّ اليهود يَنْتصرون! هذا ما يخبرنا به أوين شريج، الذي ألّف سلسلةً من قصص الأطفال، وكان قبل أن يصير مؤلّفًا عضوًا في منظمة «ليحي» الإرهابيّة المعروفة. ففي إحدى قصص تلك السلسلة التي يَلْعب دورَ البطولة، فيها كلِّها، الطفلُ الإسرائيليُّ الخارقُ «داني دين،» تستطيع جماعةٌ من الأحداث اليهود أن تتغلّب بسهولةٍ فائقةٍ على جيوش عربيّة نظاميّة. بل إنّ داني دين يتسلّل إلى مصر ليضع علبةً رَبَطَ عليها بطاقةً مشدودةً إلى صندوق بخيطٍ مطاطيّ، وكَتَب فوقها «علبة الموت»؛ فإذا هَمَسَ في أنبوبتها شعارًا معيّنًا لا تَعْرفه إلاّ القيادةُ العامةُ للجيش الاسرائيليّ، انفجرتْ ودمَّرتْ كلَّ أرض العدوّ بسكانها. أمّا رد فعل المصريِّين «الجبناء» على هذا الهجوم المدهش، فيصوِّره لنا شريج في هذه القصة «التربويّة» بقوله: «هيّا نهربْ! صاح ناصر، وبدأ يفرّ. لكنْ سرعان ما وقع على الأرض. نهض ناصر على الفور وواصل الفرار. وفَرّ جميعُ الحاضرين مثله.» وهنا نسمع داني دين يصيح بدوره: «يا الله، كان يجب أن تَشْهدوا مثل هذا الفرار!» ثم يخاطب نفسَه مفتخرًا بما أَنْجز: «لقد قمتُ بواجبي على أحسن وجه، ومن الآن لن يجرؤ المصريّون على شنّ حروب ضدّنا.»(١)

وإذا تركنا مسرحَ اللامعقول هذا، الذي يقدِّم عليه الأديبُ الإسرائيليُّ شخصيّاتِ قصصه التي يكتبها لأطفال إسرائيل، وانتقلنا إلى المسرح الذي يقدِّم عليه تلك الشخصيّاتِ لكبارها، فلن نجد كبيرَ اختلاف. فمثلاً، نشاهد في قصة «جديرا» لمؤلِّفها موشيه سميلانسكي، كيف يتجمع حول المستوطنة اليهوديّة «جديرا» جميعُ جيرانها من العرب، لينقضُّوا عليها في منتصف الليل. لكنْ، ويا للمفاجأة المدهشة، يَصْمد رجال جديرا، وبشجاعة لا تُدْهش إلا الكاتبَ والحمقى من قرائه، بل نراهم وقد «ردُّوا المهاجمين الذين كان عددُهم أكبرَ من عدد المدافعين بما لا يُحْصى من

١ ـ المصدر السابق.

المرات.»[1] وليس بعيدًا عن هذا الهذر الخياليّ ما نطالعه في قصة «المحراث» لكاتبها إليعزر شمولي، الذي يقدِّم لنا خلالها مشهدًا مماثلاً، فيقول على لسان أحد أبطالها اليهود: «كان عددنا قليلاً، وليس لدينا أكثرُ من براكتين... ومن حولنا اثنا عشر ألفًا من العرب المجهَّزين بالمدافع والبنادق.»[2] ورغم هذه المعادلة المضحكة في توازن القوى بين العدويْن، تكون النتيجةُ أغربَ من الخيال، إذ لا تستطيع تلك الآلافُ من العرب مجرَّدَ إخافة أولئك اليهود القلائل، فكيف بالانتصار عليهم؟!

ولا تقتصر المبالغاتُ المفتعلة على تصوير جبن العربيّ فقط، بل نرى الأدباء الإسرائيليّين يعتمدون المبالغة في تصويرهم لما يصفونه بـ «الذلّ العربيّ» أيضًا. إذ يظهر العربيُّ في الكثير من نتاجاتهم مخلوقًا «لا كرامة له، ويتحمّل الإهانة،» كما يصفه عجنون في روايته **أمس الأول**. أما في رواية **خربة خزعة**، فيخبرنا مؤلِّفها بأنّ العرب لا يملكون من وسائل لمقاومة اليهود الذين جاءوا لاحتلال قريتهم «إلا قول: 'يا رب' بصوت خافت ذليل!»

وهنا أيضًا لا يَهْدف وصمُ العربيّ بعار الذلّ إلى مجرّد تحقيره في عين قارئ الأدب الإسرائيليّ، بل أيضًا إلى بثّ الثقة في نفس ذلك القارئ إنْ كان إسرائيليّاً، وطردِ الخوف من قلبه أمام عدوه العربيّ كي يتمكّن من مواجهته بشيء من الشجاعة على أرض الواقع.

بالإضافة إلى الجُبْن والذلّ يَحْفل الأدب الإسرائيليّ بنصوص تتحدّث عن عيوب نفسيّة أخرى في الإنسان العربيّ، كالكذب، واتّكاليّته العمياء، وحبّه لامتلاك المال والنساء، ونزوعه إلى السرقة والقتل في سبيلهما، وغدره. بل يُخْبرنا سميلانسكي أنّ العرب لا يتردَّدون في قتل بعضهم أحيانًا من أجل الفوز بامرأة. ويَذْهب أفنير كرميلي إلى أنّ سبب تطوُّع كثير من الشبّان العرب للقتال ضدّ اليهود، إبان عام ١٩٤٨، يعود إلى رغبتهم في اغتصاب إحدى النساء اليهوديّات الجميلات الموجودات في الكيبوتسات اليهوديّة.[3]

وربما بسبب هذه الحقن المتواصلة من إثارة الحقد، لم تُثِرِ المذابحُ التي ارتكبها الصهاينةُ بحقّ العرب أيَّ أثر لتأنيب الضمير في نفوس منفِّذيها. وبهذا يكون الأدبُ الإسرائيليُّ قد قام بأبشع عمليّة خداع نفسيّ، لا للإنسان غير اليهوديّ فحسب، بل لليهوديّ نفسه أيضًا. فقد حوّله بتلك الأضاليل إلى قاتل متوحش يظنّ نفسه ـ وهو يَقْتل ويَسْفك الدمَ العربيَّ ـ بطلاً حضاريّاً ورسولَ تقدُّم إذ يقاتل أناسًا يدمِّرون الحضارة ولا يَفْهمون سوى لغة واحدة هي لغة القوة، كما يزعم كرميلي في إحدى قصصه.[4] أو يرى نفسَه سوبرمانًا يتسلّى بهياكل بشريّة هشة وضيعة شديدة الخوف والجبن. والهدف النهائيّ لكلّ هذا هو تحويل ذلك القارئ المخدوع إلى حطبٍ دائم الاشتعال والتوقد تحت مرجل الأهداف العدوانيّة التوسعيّة لإسرائيل الملتهبة طمعًا بالأرض العربيّة.

دمشق

١ ـ موشيه سميلانسكي، قصة «جديرا،» منشورة ضمن السلسلة التعليميّة **إيلف مليم** (تل أبيب: آحي أساف، ١٩٧٤، الجزء الثالث)، ص ٤٢ وما بعدها (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٢ ـ إليعيزر شمولي، قصة «المحراث،» من كتاب **الحائزون على جائزة إسرائيل**، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤ وما بعدها (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).

٣ ـ أنطوان شلحت، «العرب في عيّنة من أدب الاطفال الصهيونيّ،» مجلة **الجديد**، فلسطين ١٩٨١/٩/١.

٤ ـ شلومو فرنكل، «القتلة العرب والخائن اليساريّ،» مجلة **هعولام هزه**، ١٩٨١/٧/١٥، ص ١٥ (بالعبريّة ـ ترجمة خاصة).